الفلز والسمندل

## البلاغة المترهلة وديكتاتورية النحافة

علي بدر

لقد طرحت جمالية القرن التاسع عشر في الغرب نموذجا خاصاً في فن يختلف عن كل للفترات الجمالية في الثقافات الأخرى، وفي الوقت الذي كان نموذج الجمال في البلاغة الشعرية في الدرسة الرمزية يختصر عصر الترهل وتصبح الكلمة معياراً وايحاء كانت الأجساد- أجساد النساء- خاصة تتجاوز كل حد لتصل الى بوح صريح في الافخاذ والنهود والأرداف وحتى البطن وتبرز في اللوحات الانطباعية وهي تنضح بالشهوة الفردوسية.

لايمكن بطبيعة الأمر أن نحدد نقطة زمنية واحدة في تحولات الوضة في الثقافة الغربية، اقصد تحولاتها من جهة البلاغة، ومن جهة الجسد، فالترهل البلاغي أصبح سمة طاغية طالما أصبحت الرؤية جزء من نظرية العالم، وأصبح الاعتراف يطغى على كل تفتش للازم، أما أجساد النساء فقد خضعت للتنحيف للعقم وأصبحت المرأة من النحافة وكأنها خارجة لتوها من معسكر نازي، إن الوضة تتطلب من المرأة اليوم أن تكون قصيدة منحوتة بمواصفات شعر نيوفيل غوتييه بديوانه مدام ديوان، أما شعر اليوم وأدبه فيشبه أجساد النساء للمربربات والمفلفصات في اللوحات الانطباعية للقرن التاسع عشر.

ولكن كيف حدث هذا التحول الذوقي طالما عممت اوربا نموذجها على كل العالم تقريباً؟ وأنا لاأقصد كيف تحول نموذج قصيدة النثر المرتطة والرؤية التي يهذي فيها الصارد إلى أفيد نموذجا عالميا، إنما كيف أصبح نموذج الباربي أو المرأة المعصومة والنحيلة معياراً جمالياً لنا؟ حتى في مجتمعات فيها شيء اسمه الشعر الجاهلي الذي وضع معياراً جمالياً للمرأة خاصاً وهي البدينة والمفلفصة والمهنكة وذات الكفل الكبير، فهنالك تمييز ثابت بين وصف المرأة في شعر امرئ القيس وعنترة العبسي وبين وصف الذئب أو السيد العدلي، غير أننا نجد المرأة اليوم في العواصم التي ورثت الشعر الجاهلي مثل القاهرة ودمشق وبغداد هي سيد عدلي، وأرهط جاول، وعرفاء جبال، هي بمواصفات ذئب في قصيدة الشنفرى لا بمواصفات المربربات والمهنكات والمفلفصات في شعر امرئ القيس.

أمام هذا التفنين اللافت والتفتش الذي شمل الجسد وأمام هذه الفيزياء القسرية في الأزياء والثقافة الاجتماعية، والتنحيف الأسطوري عبر الأنظمة المتبعة في الريجيم، تتحول علامة الثراء والمكانة الاجتماعية والاقتصادية والصعود الثقافي من الوجود المطلخة بالصحة والعافية والخدود المربربة والصدور العامرة إلى الوجود الذبلة والمعلمة والمصحرة والجافة، هذه المفارقة الضدية جلية جلاء ظاهراً في الثقافة الغربية هذه الأيام، فأصبحت النحافة هي ما يميز الطبقات الراقية، بينما البدانة هي من شأن الطبقات المتوسطة والفقيرة، فهذا الشكل الرمزي التجريدي أصبح له السيادة المطلقة على صيانة الذوق وتصليبه، وحتى في عروض الأزياء وهي جزء هام من الفرجة المسرحية في الثقافة العالمية المعاصرة، هذه الفرجة التي تهيمن على ذوق الجماهير وتحدف بشكل مضطرد كل ما يهدم نموذجها، فقد استمدت نموذجها من المرأة التي تسير على إيقاع الملابس المختصرة والتي يأخذ الجسد منها أصغر حيز ممكن، ويتركز الجهد للبذول في هذا النموذج على ضغط الجسد في إطار إنشائي موحد، وكأنك تنظر إلى امرأة واحدة ممطوطة نحيفة نبيلة مضفرة نحيلة كأنها خارجة لتوها من مجاعة، إن هذا الإسفاط هو إسقاط رمزي لنموذج جمالي مبتكر، فإذا كانت السلعة في الاقتصاد الرأسمالي تكتسب قيمتها من الجهد المبذول لإنتاجها فقد أصبح لطعام شيئاً لا يبذل الجهد من أجله في أوربا الاستهلاكية والثرية، إنما النحافة هي التي لاتنتج إلا من خلال جهد كبير لا في مقاومة الإغراء الشديد في مجتمعات استهلاكية فاضحة، إنما المرأة بحاجة إلى أموال مستخدمة في عمليات التجميل التي تعتمد البلاغة الرمزية للقرن التاسع عشر، البلاغة اللفظية والتفخيمة، وهكذا تتحول النحافة الغربية إلى واقع أسطوري مشحون ومحمل بعلامات ثقافية كثيرة، علامات فنية وطبقية واجتماعية ورمزية وأسطورية وجنسية.

أما بالنسبة للرجال، فقد عاد نموذج الجسد البطولي لهم ويبكي على مسرح الحرية الثقافية، في الشارع، في الفيديو كليب، في أفلام البورنو، في الشارع، في الإعلانات عن العطور والأزياء، عاد النموذج اللحمي لهومري بـ العضلات المفتولة والصدر العريض والرأس الحليق، واللحية النابتة قليلا، إنه النموذج الرجولي المكسيمي الجذاب للمرأة، والذي يتصدر النموذج للعمم عالميا من كونه وحده القادر هذه الأيام على الأغواء والجذب والاستمالة، وبالتأكيد فإنه يضع في الموقع النقيض الذي كان يمثله جيمس دين أو كلارك كيبل، فنموذج البدانة والرباط أو البايبون قد حرر كلياً، وجاء النموذج الجديد الذي يعبر عن ثقافة جديدة في الغرب، الملابس الكاكية، الحذاء الذي يشبه المطار العسكري، النطاق العريض، أو الملابس المرقطة.

في الواقع إن هذه النماذج الصعبة والخادعة، والتي تجعلنا شيئاً فشيئاً نتلاشى في ورطتنا العالمية تهدمها من جيل الى حين الحجج الاستكارية التي تسير في الغرب على عكس الطريق الوتر متناقضي التفتش، ومنها ما حدث في لوس أنجلوس مؤخراً في صالة بلاك كوبل وهو عرض ملكات جمال النساء البدينات والسمينات، فقد مرت وللمرة الأولى على المسرح مجموعة من النساء البدينات ذوات الشحم واللحم والأفخاذ العامرة والنهود البذاخة والأرداف الحقيقية- لا مثل ذوات الؤخرات الجازية هذا العرض الرقي يهدم القاعدة الجمالية التي تمتد إلى الأجساد النحيفة المعقمة، والأجساد المتهورية المتفشفة التي تسير على المسارح بنظرة متجهمة، هذا العرض من وجهة نظري يشبه الثورة مابعد الحداثية في الأدب التي دمرت الأدب التي تميل وتنحو إلى نحت الجملة والعبارة وتكثيف الإيحاء، إنها النصوص المتفلتة كما هي عند دولبك، وباسكال لينيار وغيرهم، ومثلما تشعر في قراءة هذه النصوص الطافحة بالحياة وكأنك تحلق، فأنت تشعر بروحك هذه المرة وعلى خلاف كل مرة، وهي تعرف بين الأجساد البحيحة والربربة والمفلفصة والمهنكة، تشعر بأنك بين بنات الصحة والحيوية والعافية إنها بين ربات الجمال عابدة بين آلهات الطعام والثمار القديمة فلا حاجة تجعلك تحلق مثل ملاك في البلاغة العظيمة، بلاغة الأجساد التي تجعل للذة معنى، وللشهوة مكان، وتجعلك أنت الفنان تحلق مع هذه الأجساد المترعة بالصحة على سرير الأبدية.

# العراق الجديد والركض بين المعسكرين الثقافة والسيرك.. نقد الماضي أم الحاضر؟

**يتذكر المثقفون العراقيون والعرب أيضاً، كيف ربط نظام صدام بطريقة غريبة وزارة الثقافة بوزارة الإعلام لسنوات، خاصة خلال الحرب مع ايران، حين أضحت الثقافة العراقية برمتها طبخة اعلامية وتعبوية (من أجل المعركة) وهو ما برر قتل واعدام العديد من المثقفين لتخاذلهم وخيانتهم في هذه (المعركة) ناهيك عن مئات الآلاف من عموم العراقيين. ولنتذكر أن شاعراً عربياً كبيراً أطلق على وزير اعلام النظام لطيف نصيف جاسم اسم وزير الأوراء، بينما كان عشرات الشعراء العراقيين مطرودين ومطاردين بقرارات من الوزير نفسه، وعلينا أن لا ننسى هذا، لا بدافع التجريح على القصاص بل بدافع: عسى الذكرى بنافعة! فقد كان ذلك الوزير يقود ما أطلق عليه (الفيلق الثامن) اذ كان الجيش العراقي مؤلفاً وقتها من سبعة فيالق، وعد الاعلاميون فيلقاً اضافياً قيل أن تتشكل فيلة ثامن عسكري فعلي، على بركة هذه التسمية!**

محمد مظلوم

ولأن (الشيء بالشيء يذكر) فلا بد من التنويه إلى أن تأثيرات هذا الربط ظلت محكمة حتى اليوم وتنعكس في الخطاب الذي يرد بصيغة مقلوبة لكنه يتجه بالدفة ذاتها تقريباً نحو مسار آخر، حتى بدا كأنه استعار القديم لدحضه نوعياً!

وسيكون أمام الخطاب الثقافي العراقي وقت طويل قبل أن يتخفف ولو جزئياً من سطوة خطابه القديم الشبيه بروح القطيعة والجزم في توصيف الظواهر وتفسيرها.

فقد كان العلم في المدرسة قبل أيام من سقوط النظام يختبر براعة التلاميذ باستذكار (وصايا القائد) المفروضة قبل كل درس، واليوم حين يدخل تعلم إلى قاعة الدرس، فإن أول شيء يطلبه من تلاميذه الساكين تمزيق صورة (القائد الضرورة) من الصفحة الأولى من الكتاب، ولعله لم يجد تفسير أهذا الطلب أما استغراب الأطفال (لا بإحالة الضرورة هنا إلى الضرر!) بعض الطلاب كان يمارس هذه اللعبة بنوع من العبث الطفولي، ولكن بعضهم كان يرفض معبراً بذلك عن عدم قدرة على استيعاب التفعرات! غير أن ما ينطبق على مثل هذا الطفل قد لا ينطبق فعلاً على كثير من الراشدين الذين كانوا يقرأون ويسمعون الكلمات الرنانة قبل أسابيع، من (جحافلها) في إعلام الدكتاتورية وهي تحشدهم وتعبئهم وتحفزهم وما شنت من أفعال تعبوية، من أجل الوقوف بوجه الغزو القادم، لكن بعد أسابيع معدودات تظهر هذه الأسماء نفسها على صفحات أخرى وشاشات أخرى (كثرت بعد الغزو) لتبشر بزمن الحرية الذي حل في البلاد.

### لغة موحدة

لغة الصحافة في العراق اليوم لغة كاربونية موحدة حتى وهي تتعدد بطبقاتها، فهي ذاتها التي تتسم بالقطعية فتتحدث عن الخونة والعملاء والنظام المقبور، والعهد الباد، حتى إن بعض الصفات التي كان يلبجها الكتاب للقيادة السابقة بدأت تنسل للقيادة الجديدة (الحكيمة) و (التفاتاتها الكريمة) وارتباطها بالشعب، بل إن بعض الصحف الحزبية صارت تسير على نهج صحف النظام السابق بتكرار نشر صور أعينها لعام على الصفحة الأولى وسمه بحروف أكبر من أي اسم على الصفحة!

وأمام تلكؤ العديد من المثقفين العراقيين في التفنن عن العودة، وبقاء المتكفين على اعتكافهم، فإنه لا يتصور أن يؤتى بطبقة سحرية منه الكتاب، تحل محل السابقة أو على الأقل تساعد على إعادة تبرير وجودها بالتدريج، لتتناسب مع (خطاب الحرية الجديد) لهذا فإن الحديث عن إعادة تأهيل الكتاب السابقين هو الحديث الأكثر رواجاً في بغداد، مثلما تجري إعادة تأهيل منتسبي الشرطة والأمن، وقوى الدفاع المدني، وحرس الحدود، وثمة مستشارون عراقيون لبول بريمر لهذا الغرض، وزيارتهم اليومية للمقر الجمهوري تعيد الى الذهن وقوف الأدباء على باب السلطان، نمط جديد من الثقافة سيمتع الحاكم المدني بالتأكيد!

ولا يمكن فصل القضية هنا عن مجمل محنة العراق اليوم، لقد أفقد الدكتاتور كل شيء تقريباً، وربما صار يهتم في عزلته اليوم، وهو يرى الأفق أبعد من أن يزيل بصماته بالسرعة التي زلت فيها تماثيله وصوره من ساحات الوطن..

القضية هنا لا تتعلق بمبدأ التسامح بين المثقفين أنفسهم وبينهم وبين عموم الضحايا، بل تتصل بصورة مخيفة لما يمكن أن تكون عليه الثقافة بانتمائها من (الدكتاتورية) في زمن الاستقلال إلى (الحرية) في زمن الاحتلال!

فالقوانين التي كانت تظهر في شارع المتنبي (شارع الجمعة الثقافية في البلاد) وفي المقاهي والمنتديات التي تمثل الوسط الثقافي لبغداد، وعلى طول الطريق من الوزيرية حتى وسط شارع الرشيد، تجسدما آلت اليه الثقافة العراقية في سنوات الدكتاتورية والحصار، لقد كانت الصورة ستبدو أكثر فخراً للثقافة العراقية، التي يمكن أن تعبر عن نفسها اليوم لو لم تأتِ بصدد مرض واحد اختبر منعة المثقف، لكننا أمام معضلة حقيقية ذهبت بكبريائه وضميره معاً.

فاجتمع انحصار والدكتاتورية معاً غير من الصورة كلية، جعل المشهد برمته يستدعي الرثاء ليس إلا، كان الأدب العراقي خلال الثمانينات وفي ذروة دوران طاحونة القتل على جبهة الحرب وفي الداخل على حد سواء، ممانعاً إلى حد ما، وكان المثقف آنذاك أكثر شجاعة ومنعة، وقتها أعدم الكثير من الأدباء أذكر منهم صديقي الشاعر (جبار صخي) والقاص (حاكم محمد حسين)، بل إن رواية أموهوباً أصدر رواية واحدة لفتت له الانتباه وهو (حسن مطلك) أعدم لاحقاً لاتهامه بالمشاركة في إعداد خطة للإطاحة بـ صدام! ناهيك عن اعتقالات لا تحصى للأدباء، لكنني اليوم أكثر قناعة بأنه لامجال للحديث عن صورة أدب سواء، ممانعاً أو مقاوماً، فالأسماء التي ترد في القوائم الموزعة في شارع المتنبي، تتضمن تسعين بالمئة من الأسماء التي تعرفها في الثقافة العراقية، وأمام كل اسم تم تضمين شيء من الحيثيات الموجبة لوضعه في القائمة، تماماً كتلك التي تحتويها مبررات منح الجوائز الكبرى! قوائم سوداء كثيرة تنشر في بعض الصحف الحلية رغم إن عدداً من الصحف الصادرة الآن في بغداد، تدير ها أسماء القوائم السوداء!

القائمة الأشهر في هذا السياق هي قائمة شارع المتنبي، ليس لدقة ما ورد فيها من تشخيصات لأدوار كتاب العهد السابق فحسب، بل لأنها أوجبت عليهم عقوبة من نوع خاص: ضرورة امتناعهم عن الدخول الى شارع المتنبي ومقاطعة وجودهم في شارع الجمعة الثقافية الغريب هذا!!

وسط هذا التحول اللافت صرنا أكثر سؤالاً عن سامي مهدي الذي يجلس في مقهى حسن عجمي وليس في الشابندر معقل الأدباء الجديد، وخالد علي مصطفى، تختفين وتصامتين حتى الآن، يجعلك تتفهم صمتهم هذا برغم أنوارهم السابقة المعروفة والتي تبدو اليوم الوحيدة المنسجمة مع نفسها، وسط دوامة والتشابك في الآن نفسه، الذي يتسرب للصحف المنوية في بغداد وحدها.

تسيطر القوات الأمريكية أو ما يصطلح عليه لدى أغلبية الصحف الحلية، بقوات التحالف، على أهم القنوات الإعلامية في البلاد، فشبكة الإعلام العراقية المؤلفة من محطة تلفزيونية وإذاعة وصحيفة تشكل خيوط هذه الشبكات التي لا تبدو مغرية لأغلب العراقيين، خاصة بعد انتشار الصحون اللاقطة بكثافة، فالتلفزيون لا يقدم أو بالأحرى لا يستطيع الإحاطة بصورة ما يجري في البلاد، حتى بدا كأنه يغني موالاً في عزلة غير مقصودة ولا يريدها بالتأكيد.

وبرغم محاولة التلفزيون جلب انتباه العراقيين بعرضه برامج ترفيهية تحتل الأفلام الأمريكية حيزاً كبير أمنها، فإن أئمة الجوامع وخطباء الحسينيات، مافتئوا يهاجمون الشرفين على المحطة، لأنها تبث مشاهد (أباحية لا تتناسب مع التقاليد) والأمر ببساطة يتعلق بمشاهد تقبل! فقد اعتاد العراقيون على أن القبلة من المحرمات على شاشات التلفزيون العراقي، وكان تلفزيون الشباب الذي يملكه عدي نموذجاً لهذه الرقابة الصارمة، التي لا تتناسب مع أجواء الأنس والرح في لحظات الكثيرة التي انتشرت أشرطتها وصار الناس يشاهدونها في بيوتهم، للتعرف على عوالم الدجل الأكبر للرئيس (المؤمن وقائد الحملة الإيمانية).

تبحث القوات الأمريكية أو قوات (التحالف) أو (الإئتلاف أو (الاحتلال) أو (تحرير) عن وجودها في شارع الثقافة، أسوة بباقي مفردات المشهد في البلاد، فترى مقاهي شارع الرشيد وحنبانه وزواياه، تحفل بأعداد من وجوه وعيون تمثيل هذه القوات، هناك العراقيون المتعاقدون مع البنتاغون ضمن مجلس إعمار العراق، وبعضهم يتحرك بأسماء مستعارة برغم أنهم لم يستخدموها في منافيهم الطويلة وكتاباتهم القليلة، وهناك القادمون مع تلك القوات كمترجمين أو أدلاء، ثمة الكثير من هؤلاء غير معروفين في الوسط الثقافي بدوا كأنهم يدرجون على تقاليد أدباء السلطة في العهد السابق، لجهة محاولة تحقيق وجودهم الاجتماعي في شارع الرشيد ومقاهيه، بأقوى من صورتهم في المشهد الثقافي عموماً، نشر هنا في صحيفة (بغداد الآن) تصدرها القوة المدرعة الأولى في الجيش الأمريكي المتمركزة في العاصمة، وهي الصحيفة الوحيدة التي توزع مجاناً من بين أكثر من مئة وستين صحيفة تصدر في البلاد الآن، وتصدر (بغداد الآن) بصفحات عربية وأخرى إنكليزية، لكن لا أحد يعرف حتى الآن من يحرر القسم العربي فيها!

صورة الثقافة العراقية اليوم من الداخل، ليست كما تبدو من الخارج، وهي كانت كذلك طوال العقود الماضية، من الخوف ووعي التفني، وإعادة تقييمه لا تبدو هي الأخرى كما عرفناه لسنوات، إنها أيضاً بحاجة الى مراجعة.

قاص وروائي منفي منذ ربع قرن، كتب سبق له أن نشر رواية مثيرة تحت عنوان (طفل لبي أن أن) يدين بها (الإمبريالية الأمريكية) ويصف بطولاتها بالزنفة ونصرها رأيته تلك، بعد أن كبروا في الحاضنات بلا تشويه، ليسهم في (إعادة الثقافة الوطنية الشوهة..).

سكرتير صحافي سابق لصدام من مدينة تكريت (هربت من الوطن بسبب أحد تقاريره بعد أيام من عمله في الكتب الصحافي لصدام) يرأس حالياً تحرير صحيفة بعنوان (الوطن) بعد سقوط الوطن بيد المحتل، وهو يعرض خدماته لبعض أصحاب الصحف الصادرة الآن للتدخل لدى الأمريكان لتمويلها!

لقد أدت حمى إصدار الصحف في البلد الذي لم يعرف تعددية في الرأي، إلى شيوع ظاهرة بيع الأذرع الكاتبة، وحتى الثقافة الحزبية التي ظلت منفية لعقود، وجدت في هذه السوق مبرراً لا يستهان به من هذه (الأيدي الكاتبة).

فكان الزحف غير المقدس للكثير من الكتاب الذين أداروا عجلات أفكارهم بصورة مفاجئة، حيث ظلوا حتى صباح التاسع من نيسان يدبجون مقالات لصدور بوجه الغزو، بينما كان قائدهم التاريخي يترك العاصمة مخلياً ساحة قدوس للدبابات الأمريكية كي تطيح بتمثاله الذي وقف وحيداً هذه المرة، بينما كانت جحافل حمايته (من عبث الشعب) تمتد حتى شارع أبي نواس لطيب الذكر!

وعندما بدأ أن بعض هؤلاء قلب الطبل نحو الجهة الأخرى، اضطرت إحدى الصحف الحلية، إلى نشر وثائق حصلت عليها بعد سقوط النظام وتتعلق بقوات فدائيي صدام التي يقودها عدي، وكانت القائمة تدعو للذهول حقاً ففي وجبة واحدة، من مجموعة وجبات وعدت الصحيفة بنشرها، كان هناك أكثر من ثلاثمائة اسم من الكتاب ممن حصلوا على شارات خاصة في تدريبات فدائيي صدام، كتاب لا بأسمائهم الأدبية فحسب، بل بالرباعية وبكناهم غير المعروفة غالباً، وإذا كانت الوجبة الأولى تضم هذه الأسماء وأكثرهم كتاب الصحف في عهد الديمقراطية ومراسلي الفضائيات العربية ومحطات الحرية لمرحلة ما بعد الحواسم، فلك أن تتخيل أي خراب وصلت إليه الكتابة في العراق، لذلك ليس غريباً أن تجد الوطن اليوم ينظر للكتاب في البلاد، وكأنهم جزء من أجهزة الأمن والمخابرات في نظام صدام، وينظر إلى قرار بريمر بحل وزارة الإعلام بوصفه واحداً من القرارات الصحيحة برغم ردود فعله السلبية للباشرة، فهذه الوزارة جمعت مجموعة من المنتفعين وجعلت من الفنانين على بقائه وقدموا دلائل تدينه، اعتقلته القوات الأمريكية لأسباب تتعلق بالتحقيق معه حول بعض الأمور المالية وليس بسبب فساده التي أوقفها على مدح الدكتاتور، فخرج عدد وفير من الفنانين المرحبين مطالبين بالإفراج عنه، كيف نصنف هذا احتجاج مبطن تلك التي شاعت خلال الثمانينات ولهذا دلالة على ما يجري اليوم! وقصيدة اللبوءة تمثيل جديد لنموذج قصيدة البلاط في العصر العباسي وعصور السلاطين، والتسمية (النقدية) هنا، جاءت على ما يبدو كاصطلاح لاحق طريف لواحدة من خواطر الدكتاتور، وهو يخصص مليون دينار عراقي لكل قصيدة يقرؤها خلال مطالعته للصحافة اليومية، ومن يومها صار العديد من الشعراء وحتى القصاصين والصحافيين، منشغلين بذائقة الدكتاتور، وما سيكون عليه مزاجه اليومي وربما مزاج سكرتيره الشخصي!

صار الشاعر يتمق مع محرر الصفحة الثقافية، بأن ينشر قصيدته قبل غيره وللبيون مناصفة؟ وبعد النشر ينتظر المحرر والشاعر كلاهما أن يخبرهما رئيس التحرير باتصال من القصر الجمهوري لإعطاء الضوء الأخضر بإضافة الكاتب إلى القائمة المليونة.

### إزدواج

اليوم فإن الكثير من هؤلاء الشعراء، بل وحتى رؤساء تحرير المجلات، ومدراء التوجيه السياسي السابقين، ينشرون قصائدهم المحتجة التي ظلت حبيسة الأدراج لأنها محتجة! وتعود تواريخ كتابتها إلى تاريخ القصيدة المليونية ذاتها! هل نحن هنا بصدد إزدواج مرضي، أم نحن بصدد ممارسة مقصودة لطرح نموذج الأديب بأنه أكثر نماذج السلوك رياء حتى من اللعب السياسية المعروفة؟

ربما لهذا صارت المهرجانات التي أقيمت في بغداد على عجل، تستعين بنماذج المنفى (مهرجان الجواهري ومهرجان مظر النواب وسواهما) رغم أن فكرة المنفى هنا بحاجة إلى تدقيق على وفق التصور الذي قدمه المهرجان خاصة أن مهرجان الجواهري حمل عنواناً ملتبساً، (الجواهري عائداً من المنفى) بينما أكثر من شارك في مهرجانه لا ينتمون للمنفى ببعيد الكاني والذهني.. بل ثمة شعراء كانوا يدبجون المديح للدكتاتور وهاهم يعيدون صياغتها للشاعر الذي مات منفياً بسبب الدكتاتور.. والشاعرات اللواتي ولدن بين ظلال (مهرجان الأمة الشعري) و (أدب قادسية صدام) وكن مضيفات أرفع للمسؤولين وكبار الشعراء العرب، في مهرجانات السلطة، يستقبلن اليوم المعممين الشباب في مهرجان الجواهري عائدات من الأخريات من المنفى!

شاعر يعرف في بغداد بالابن الثالث لصدام، كان يهدد الأدباء بالسلس الذي أهداه إياه الأب القائد! وشغل منصب مدير عام في مجلس قيادة الثورة، ومدير عام لدائرة السرح في وزارة الثقافة، وبقي في منصبه هذا بعد الاحتلال، وعندما احتج قسم من الفنانين على بقائه وقدموا دلائل تدينه، اعتقلته القوات الأمريكية لأسباب تتعلق بالتحقيق معه حول بعض الأمور المالية وليس بسبب فساده التي أوقفها على مدح الدكتاتور، فخرج عدد وفير من الفنانين المرحبين مطالبين بالإفراج عنه، كيف نصنف هذا السلوك المتناقض؟

مسرحيون حشدوا الإنجاز عمل كبير من أعمال صدام، (زبيبة والملك)، (العلاقة النموذجية للحاكم برعيته) إلى مسرحية وبدأوا الطواف بها في مهرجانات مسرحية في بلدان مجاورة، عدد كبير من هؤلاء مشغول هذه الأيام بالإعداد لمسرحيات عدة عن الحرية (الشهداء تحت مقصلة الطاغية، والقابر الجماعية) هذه الصورة تتكرر عندما تستمع إلى إذاعة شبكة الإعلام العراقية البديلة لإذاعتي بغداد وصوت الجماهير وإذاعة الشباب التي كان يملكها عدي..

عندما تستمع إلى الإذاعة الجديدة إلى أغنيات تعود إلى الستينيات والسبعينيات، من تلك المنوعة لكون كاتبها أو ملحنها أو مؤديها معارضاً للنظام أو معتقلاً أو معدماً أو ربما غيبته المقابر الجماعية، عندما تستمع لهذه الأغنيات تشعر كأنك استعدت شيئاً من صور البلاد التي تحب، الصورة التي تصلح أن تشكل ملامح مقبلة لعراق آخر أكثر جمالاً، أغنيات من أشعار مظفر النواب، ظلت ثلاثين سنة مسجونة وشاعرها منفياً، صوت المطرب صباح السهل يأتي بأسى (بلاي وداع مثل العود من يذبل بلاي وداع) قبل أن يشنق على عود لا يذبل!

أغنيات فؤاد سالم وهي تحتل مكاناً بارزاً لصورة المطرب الذي يجمع بين أصالة الصوت وانتمائه وصدقية الموقف، لكن فجأة ينبهك شقيقك أو أحد أقاربك، كمن يشكك بكل ما يجري، إلى أن المذيع الذي يقدم هذه الفقرة التي تتحدث عن صورة (العراق الجديد) كان قبل ظهر يوم التاسع من نيسان فقط يتحدث من خلال إذاعة عدي عن انتصار (عراق صدام حسين أبو الليثين: عدي وقصي!)

العديد من مذيعي محطة تلفزيون الشباب كانوا يجرون على تقديم الفقرات والبرامج وهم يعتمرون العقال على طريقة عدي، كان عدي يفرض على هؤلاء المذيعين وحتى المطربين خلال تصوير أغانيهم أو فقراتهم،

أن يتزيوا بزيه أو يكونوا على صورته التي يغيرها ما بين فترة وأخرى، وكان العديد منهم بارعين في ارتداء الملابس وتخفيف قصة شعر الرأس والذقن على طريقة عدي بما يحقق الحضور اللازم على شاشة الشباب.

في بغداد اليوم ترى الكثير من مراسلي الفضائيات في بغداد بين العراقيين تحديداً يرتدون ملابس لاترينز

بصورة لافتة، حتى الفتيات العاملات في هذا المجال، بدون اليوم في صورة أخرى، ببنطلونات لاترينز المرقطة والرائج شرت) الكاكي.

لذلك فمن الطبيعي أن تجد عموم الناس غارقين بعالم آخر خارج ثقافة التعبئة وإعلام الحرية غارقين أيضاً بالبكاء، بفعل ماض قاس، غير منتبهين لما يزين لهم ما حاضر أو مستقبل.

## قصائد

جمال جاسم امين

(1)

في غياب الإمبراطور
كثير من الماء يجري
وكثير من الضوء يسطع
وفي كل مرة..
عندما يغيب الإمبراطور
يحضر الشعر

(2)

إلى/الجنود حصراً

لكي لا يظل الألم بلا أسماء
هذا ندم للذكرى
ولائحة للخسارات
يوم وقفنا..
لا أحد سوى شجر المعسكرات
كنا نهرع كـ(أسياد)
بعصا لا تنفع في الزهو
والغبار الذي كان يلمع كبئور..
تقذفها كف مجدورة
وكل صباح..
عندما يفتش الجنو في أحشاء
بنادقهم
عن جرح غائر
وأتركهم..
يغطسون -أكثر- في بركة
الانتظار
وها أنذا -الآن-
سأعترف لأقدامهم..
إنني سهوت
وأبادلهم..
أبادلهم كل ذاك الوقوف!